الرسالة

(عبرانيين ١٣: ١٧–٢١)

يا إخوةُ أطيعوا مدبِّريكم واخضعوا لهم فإنَّهم يسهرون على نفوسِكم سهَرَ مَن سيُعطي حِساباً حتى يفعلوا ذلك بسرورٍ لا آنّين. لأنَّ هذا غيُر نافعٍ لكم* صلُّوا من أجلنا فإنَّا نثِقُ بأنَّ لنا ضميراً صالحاً فنرغبُ في أن نُحسِنَ التصرُّفَ في كلّ شيءٍ* وأطلُبُ ذلك بأشدِّ إلحاحٍ حتى أُرَدَّ إليكم في أسرعِ وقتٍ* وإلهُ السلامِ الذي أعادَ من بين الأمواتِ راعيَ الخرافِ العظيمَ بدم العهدِ الأبديِّ ربَّنا يسوعَ* يكمِّلُكم في كلِّ عملٍ صالحٍ حتى تعملوا بمشيئَتِه عاملاً فيكم ما هو مَرضيٌّ لديه بيسوعَ المسيحِ الذي له المجدُ إلى أبدِ الآبدين، آمين.

الوحدة في المسيح

«احفظهم فِي اسمك الذين أَعطيتني، ليكونوا واحدًا كما نحن» (يو١٧: ١١). آية نردّدها كلّ سنة عند اقتراب أسبوع الصلاة من أجل الوحدة. ويظهر أنّها من دون جدوى، لأنّه حتّى اليوم لم تتحقّق الوحدة بين الكنائس، وفي يومنا هذا الذي نفتتح فيه أسبوع الصلاة من أجل الوحدة، هل سيكون مصير صلاتنا كسابقاتها؟ أن يكون الربّ يسوع قد طلبها من أبيه، فهذا يعني أنّها غاية مرجوّة. لماذا إذًا لا يسمع الله تضرّعنا هذا؟ المشكلة تكمن في شكل الوحدة الذي نطلبه، وفي الغاية التي نتوخّاها من هذه الوحدة. هل المطلوب فعلاً وحدةٌ بين الكنائس؟ أم المطلوب وحدة من نوع آخر غفلنا عنها، مع أنّ الربّ أشار إليها مرارًا وتكرارًا؟ كما أنّ العهد الجديد، وخاصة رسائل القدّيس بولس، مليئة بالإشارات إلى نوع الوحدة المطلوبة. لذلك سنشير في ما يلي إلى ثلاث مشكلات تعيق وحدتنا الحقيقيّة في المسيح.

المشكلة في عدم استجابة الربّ لطلباتنا من أجل تحقيق الوحدة بين الكنائس هي أنّ المنطلق يشوبه عيبٌ أساسيّ. فالسؤال المطروح دائمًا هو أيّة كنيسة من الكنائس الموجودة الآن ستكون من تتلقّف الكنائس الأخرى لتتّحد بها. لأنّ كلّ كنيسة تعتبر نفسها المحافظة على التعليم الصحيح، والكنائس الأخرى ضالّة وعليها العودة إلى أحضان هذه الكنيسة لتتحقّق الوحدة.

المشكلة الثانية تتعلّق بنا نحن البشر، هي أنّنا لم نتعلّم من الكتاب المقدّس ألاّ نطلب مرجعيّة أرضيّة، أو مكانًا أرضيًّا لنعبد فيه الربّ. فإذا عدنا قليلاً إلى العهد القديم نرى أنّ شعب الله لم يرضَ أن يكون الله مَلِكَه الوحيد، بل طلب مَلِكًا أضيًّا: «فاجتمع كلُّ شيوخِ إسْرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له: هوذا أنت قد شخت، وابناك لم يسيرا في طريقك. فالآن اجعل لنا مَلِكًا يقضي لنا كسائر الشعوب. فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا: أعطنا مَلِكاً يقضي لنا. وصلى صموئيل إلى الربِّ. فقال الربُّ لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كلّ ما يقولون لك، لأنَّهم لم يرفضُوك أنت بل إيَّايَ رفضوا حتى لا أملك عليهم» (١صم٨: ٤–٧). كذلك فإن الله لا يسكن في هياكل من صنع البشر (أع٧: ٤٨). كما يعلّمنا الكتاب المقدّس ألاّ نتعلّق بغير المسيح. ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يشدّد الرسول بولس على عدم الوقوع في الإنشقاقات الناجمة عن الانقياد لأشخاص مهما علا مقامهم: «ولكنَّني أطلب إليكم أيُّها الإخوةُ، باسم ربِّنا

العدد ٢٠١٦/٣

الأحد ١٧ كانون الثاني

تذكار أبينا البار المتوشح بالله

أنطونيوس الكبير

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

يسوعَ المسيح، أَنْ تقولوا جميعكم قَوْلاً واحدًا، ولا يكون بينكم انشقاقاتٌ، بل كونوا كاملين في فكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحد، لأَنّي أُخْبِرتُ عنكم يا إخوتي من أهل خُلُوي أنّ بينكم خصوماتٍ. فأنا أعني هذا: أنّ كُلَّ واحدٍ منكم يقول: أنا لبولس، وأنا لأَبُلُّوسَ، وأنا لصَفَا، وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ أَلَعَلَّ بولُسَ صُلِبَ لأَجلكم، أَم باسم بولسَ اعتمدْتُم؟» (١كور١: ١٠-١٣).

المشكلة الثالثة هي فهمنا لماهيّة الكنيسة. فكثيًرا ما نقع في الخطأ حين نقصر مفهوم الكنيسة إلى مؤسّسة، أو إلى طائفة يديرها بشرٌ لهم صفة إكليريكيّة ويجمع أعضاءها اسم الطائفة. في حين أنّ الرسول بولس يعبّر عن وحدة الكنيسة من خلال صورة الجسد، جسد المسيح. فالكنيسة هي جسد المسيح، ووحدة الأعضاء في الكنيسة تقوم بالتصاقها بالرب يسوع. أمّا كيف نلتصق بالربّ فيعيده الرسول إلى وحدة الفكر والرأي والقول بين أعضاء الجسد الواحد (١كور١: ١٠). أن يكون لنا فكر واحد هو فكر المسيح ليس مجرّد اجتهاد عقليّ إنما تطبيق حيّ للمحبّة الأخويّة: «فتمِّموا فَرَحي حتى تفتكروا فِكرًا واحدًا ولكم محبَّةٌ واحدَةٌ بنفس واحدةٍ، مُفْتَكِرينَ شيئًا واحدًا، لا شيئًا بتحَزُّب أَو بعجب، بل بتواضُعٍ، حاسبين بعضكم البعضَ أَفضلَ منْ أَنفسِهم. لا تنظُروا كُلُّ واحدٍ إلى ما هو لنفسِهِ، بل كُلُّ واحدٍ إلى ما هو لآخرين أَيضًا» (في٢: ٢-٤).

إنّ الوحدة التي يتكلّم عنها الرسول ليس وحدة عالميّة، فهي تتحقّق ضمن الجماعة الواحدة التي تسعى إلى تطبيق وحدتها من خلال عمل المحبّة الأخويّة. هذا ما فهمه آباء الكنيسة، خاصّة القدّيس إغناطيوس الأنطاكي، حيث دعا إلى الوحدة حول الأسقف الذي يشكّل رأس الجماعة الواحدة كما أنّ المسيح هو رأس الكنيسة: «عليكم أن تكونوا برأي واحد مع أسقفكم، الشيء الذي تفعلونه. إنّ مشيختكم المحترمة جديرة بالله ومرتبطة مع أسقفها ارتباط الأوتار بالقيثارة، لذلك بتناسقكم وباتفاق المحبّة بيسوع المسيح يرتفع المديح والتمجيد، ليدخل كلّ واحد منكم في هذا الجوق، لكي تتوحّد نغماتكم، فتأخذون طابعًا إلهيًّا وترتّلون بصوت واحد بيسوع المسيح المدائح للآب الذي سيسمعكم ويعرفكم من أعمالكم الصالحة أنّكم أعضاء في ابنه. من المفيد أن تكونوا في وحدة لا تشوبها شائبة حتّى تكونوا في وحدة دائمة مع الله» (من الرسالة إلى أهل أفسس)؛ «إنّي أطوف في الكنائس مقيّدًا بالحديد ويسرّني أن أراها في وحدة مع جسد وروح المسيح يسوع، حياتنا الأزليّة، يسرّني أن أراها في وحدة مع يسوع والآب وهي الوحدة الأهمّ» (من الرسالة إلى مغنيسية).

الوحدة بين الكنائس ترتبط بالوحدة بين أساقفتها المؤتمنين على الإيمان الواحد الصحيح، الذي عبّر عنه آباء المجامع المسكونيّة. لذلك فإنّ الوحدة بين الكنائس المتعدّدة هي في عهدة الأساقفة أو من ينتدبونهم، وهي لا تقتصر فقط على توحيد الأعياد وتوحيد التقاليد الكنسيّة أو الخدم الليتورجيّة، مع أنّ ذلك تعبير عن الوحدة الإيمانيّة. الإيمان الصحيح أساس بناء الكنيسة، لأنّه يرتبط بالروح القدس الواحد، ولا يمكن التفريط به أبدًا: «إنّي أتعجّب أَنّكم تنتقلونَ هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمةِ المسيح إلى إنجيل آخر! ليس هو آخر، غير أَنّه يوجَد قَوْمٌ يُزعِجونَكُم ويريدونَ أَن يحوِّلوا إنجيلَ المسيح. ولكن إن بشَّرناكم نحنُ أَو ملاكٌ من السماء بغير ما بشّرناكم، فليكن أَناثيما» (غلا١: ٦-٨) (راجع أيضاً أف ٤: ١-٦).

صلاتنا إذًا في هذا الموسم توجّهنا نحو التصاق كلّ منّا بالمسيح ضمن

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢-١٩)

في ذلك الزمانِ فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبله عشرَةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم امْضوا وأَروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّه قد بَرِئَ رجعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجههِ عند قَدَمَيْهِ شاكراً له وكان سامريًّا* فأجابَ يسوعُ وقالَ أليسَ العَشْرَةُ قد طهروا فأين التِسعة* أَلَم يوجَدْ مَن يرجِعُ ليُمجِّدَ الله إلاَّ هذا الأجنبيَّ* وقال له قُمْ وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصَك.

تأمل

«أطيعوا مدبريكم فإنهم يسهرون على نفوسكم».

ان قلت هل النفس تمرض. أقول نعم ويعلوها الصدأ والسواد

والظلمة. وان قلت فما أمراضها. أجبتك انها تمرض تارةً بحب الغنى، وتارةً بالانهماك في التنعُّم، وتارةً بالعشق والخلاعة، وتارةً بالسكر والإسراف، وتارةً بالظلم، وتارةً بالغضب، وتارةً بالحسد. وغير ذلك مما يطول شرحه. فإن قلت ومَن هو طبيبها أجبتك ليس لها طبيبٌ واحدٌ بل كثيرون وهم ليسوا ممَّن يطلبون أجرةً ولا يقبلون هديَّةً ولا يكلّفون ابتياع أدويةٍ بل يداوون كلَّ واحدٍ مجاناً. فإن طلبت معرفة هؤلاء الأطباء فهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبطرس وبولس ويعقوب وبقية الرسل والأنبياء. واعلم يا هذا ان أقوالهم تثقل عليك أولًا لأنهم يأمرونك بما لا يوافق هوى نفسك كما يثقل على المريض بالجسد قول أطباء الأجساد لأنهم يأمرونه باجتناب أكل اللحوم والفواكه وتقليل الغذاء والاقتصار على أكل البقول. كذلك أولئك السعداء أطباء الأنفس فإنهم يأمرونك باجتناب اللذات البدنية ومقاومة هوى الطبيعة فيقولون لك الجماعة التي يسعى إلى العيش فيها وفق وصايا الربّ يسوع، فوحدتنا مع المسيح هي أساس كلّ وحدة. لكنّها ليست وحدة نظريّة، إنّما تجد تطبيقها في فعل المحبّة نحو القريب، وهذا ما يطلق عليه الرسول بولس تعبير «الإيمان العامل بالمحبّة» (غل٥: ٦).

الراهب والمعمَّد

في نهاية خدمة المعمودية يأخذ الكاهن مقصاً ويقص من شعر رأس الطفل (أو الطفلة) المعمَّد حديثاً أربع خصل شعر على شكل صليب قائلًا: «على اسم الآب، والإبن، والروح القدس، آمين». قد يتساءل البعض ماذا يعني هذا الطقس. انه علامة التكريس على طريق الرب والإلتزام بتعاليم الرب والطاعة للرب ولكنيسته. يُقص شعر المعمَّد مثلما يُقص شعر الجندي عندما ينضم إلى خدمة وطنه علامة على خضوعه لنظام الجنود ولرؤسائه واستعداده أن يضحي بحياته لأجل الوطن. كما ان هذه الشعيرات القليلة من رأس المعمَّد هي أول عمل حِرٍ يقوم به بعدما صار مسيحياً وهي أولى تقدماته للرب بعدما أستعيد كاهناً ملوكياً مكرّساً للرب. مع قص الشعر يوضع المعمَّد على سكة درب الرب فيحيا طائعاً لوصايا الرب وبادئاً جهاده في هذه الحياة ضد مكائد الشرير، ضد الشهوات بمختلف أوجهها، ضد مغريات هذا العالم المادية و«الذي يصبر إلى المنتهى يخلص» (متى ٢٤: ١٣).

هذا الطقس يذكّرنا، فيما نُعيِّد اليوم لأبي الرهبان البار أنطونيوس الكبير، بعملية قص الشعر نفسها التي يُخضع لها الراهب (أو الراهبة) يوم تصييره راهباً. يقص المطران أو رئيس الدير أيضاً شعر المزمع أن يصير راهباً على شكل صليب علامة لتكريس الراهب حياته للرب وإعلان التزامه النذور الرهبانية: العفة والفقر والطاعة بالتلازم مع الصبر في عيشه هذه النذور، لأن مَن يصبر في الجهاد إلى المنتهى يخلص. النذور التي ينذرها الراهب هي بمثابة جواب المؤمن الحرّ على نداء الرب ودعوته لنا أن نحمل صليب الرب ونتبعه. انه تعبير عن حرية الإنسان في تلبية دعوة الخلاص. وطقس أداء النذور يوضح ذلك جلياً. فالمطران يضع المقص فوق الإنجيل المقدس ويدفعه إلى الراهب ويقول له: «خُذ المقص وادفعه إليَّ فيدفعه إليه. ويُعاد الأمر ثلاث مرات. يسأل المطران الراهب الجديد إذا كان يرغب فعلاً وبكل إرادته أن يعيش حياة العفة والفقر والطاعة، فيجيب الراهب: «نعم بمؤازرة الله» بعدها يطلب له المطران نعمة الصبر ليحتمل جهاد التزاماته، ثم يقص شعر رأس الراهب الجديد. فالراهب هو الذي يقدِّم نفسه بنفسه لله ناذراً ذاته إليه ومتعهداً أن يعيش حاملاً صليب المسيح، أو أن يحمل صليب المسيح بإرادته: «مَن أراد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مر ٨: ٣٤).

هناك أيضاً تشابه بين خدمة المعمودية وخدمة تصيير الراهب في موضوع خلع الثياب وإلباس ثياب أخرى. في المعمودية تُنزع عن الطفل المعمَّد ثيابه رمزاً لخلعه الإنسان العتيق فيه الذي يتسلط عليه الشر والفساد ويُلبس ثوباً أبيض جديداً، ثوب الإبتهاج، دلالة على حياته الجديدة الملكوتية. في القديم عندما كانت معمودية الكبار أكثر شيوعاً كان المعمّدون الجدد يحتفظون بثوب معموديتهم الأبيض لكي يتم إلباسهم إياه يوم دفنهم وذلك إشارة إلى سعيهم أنهم جاهدوا خلال حياتهم أن يُبقوا ثوب معموديتهم الأبيض غير ملطّخ بالخطايا. أما الراهب الجديد فإنه عند وصوله إلى الدير يخلع كل ثيابه ويتركها خارج الدير ويعطى لباساً مؤقتاً إلى أن يتم قص شعره في الخدمة، دلالة على انه ترك كل ما له علاقة بالعالم والدنيا، ثم

يُلبسه الرئيس الثوب الأسود المسمّى ثوب الابتهاج رغم لونه الأسود. الإبتهاج بالتكريس الكلي للرب والموت عن العالم وكل ما فيه. هذا التكريس الذي ابتدأه يوم تعمد وألبس ثوب الملكوت، ثوب الإبتهاج، وقُص شعره. الراهب هو الذي قرر أن يمضي بتكريسه الأولي في المعمودية إلى النهاية فيكرس نفسه بالكلية للرب فيترك العالم ويدخل إلى الدير ليحيا حياته مع الرب وحسب وصاياه.

إذاً واضح من المقارنات أعلاه ان الراهب يوم تصييره راهباً يكون ماضياً بالتزامه وموافقته للرب، التي أعلنها يوم معموديته، إلى المنتهى. ومن بين هذه الالتزامات يوم معموديته، وإن لم يكن قد قالها بكلمات محددة، العفة والفقر والطاعة، بالتلازم مع الصبر. فكل معمّد رفض الشيطان وبصق عليه ثم وافق المسيح وسجد له، كل واحد تعهد أن يعيش بحسب ناموس الرب وشرائعه. ألم يطوّب الرب في العظة على الجبل (متى ٥ و٦ و٧) الأنقياء القلوب. ألم يوصِنا أن لا نشتهي، حتى ولو في قلبنا فقط، إمرأة لئلا نزني، وأن نحفظ طهارة نفوسنا وأجسادنا؟ أليست هذه عفّة؟ أليست هذه مطلوبة من كل إنسان مسيحي مؤمن؟ العفة أو البتولية بحسب تعاليم الآباء ليست وضعاً خارجياً بل حالة. العفة هي أن لا تدع فكر الزنى يدخل إلى قلبك، ولا تدع شهوة الطعام والشراب تستعبدك، ولا تسمح لأي شيء في هذا الكون المخلوق أن يكون سيداً عليك. الكون خلقه الله ووضعك أنت أيها الإنسان سيداً عليه.

أليست دعوة الرب لأن نختار مَن نخدم: الله أو المال (متى ٦: ٢٤) دعوة لأن ننذر الفقر وأن نكون مساكين بالروح؟ أليست دعوة الرب أن لا نتمسك بأي شيء في هذه الدنيا هي وجه من وجوه الفقر؟ أخيراً، ماذا يعني قول الرب: «ليس كل مَن يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٧: ٢٤)، ألا يعني هذا ان طاعة كلام الرب تُدخل إلى الملكوت؟ الطاعة هي المرحلة الأقصى بعد الفقر إذ في الطاعة يتنازل الإنسان ليس فقط عن ممتلكات وماديات، بل أيضاً عن كيانه ليربح المسيح. الطاعة هي الإنفتاح الكلي النهائي لصوت المسيح وعدم السماح لحريتنا وإرادتنا بالإنغلاق على ذاتها.

إن الوصايا التي أعطانا إياها الرب يسوع هي لخلاصنا. ليست هي الغاية بحد ذاتها، إنما هي وسائل اختبرها أشخاص تقدّسوا بها لأنهم قرروا أن يكونوا ملتزمين بصدق وأمانة بوصايا الرب. كل مؤمن معمَّد يستطيع أن يتقدَّس إن كان عفيفاً في حياته وطائعاً لوصايا الرب، والرب سوف يدخله إلى ملكوته ويقول له: «نعمّاً أيها العبد الصالح الأمين، كنت أميناً في القليل فسأقيمك على الكثير، أدخل إلى فرح ربك» (متى ٢٥: ٢١).

صلاة لوحدة الكنائس

في مناسبة افتتاح أسبوع الصلاة من أجل وحدة الكنائس تُقام خدمة صلاة الغروب برئاسة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس عند السادسة والنصف من مساء الأحد ١٧ كانون الثاني ٢٠١٦ في كنيسة القديس نيقولاوس وذلك بمشاركة الكنائس الشقيقة ومطارنة بيروت ورعاتها وكهنة الأبرشية وأبنائها.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

لا تزنِ ولا تسرق ولا تنظر نظر المشتهي ولا تحسد ولا تبغض ولا تستكثر من الخمر وغير ذلك. واستعمل لمداواة نفسك الصوم والصلاة والصدقة والزهد في العالميات وأشباه ذلك. فإنك تكره ذلك أولاً وتنفر منه ولكن إذا اضطرَّك الأمر إلى استعمالِه فستحمد العاقبة كما يحمدها المريض عند شفائه ويشكر فضل الطبيب. وإذا كنت إلى الآن مهملاً مداواة نفسك فمتى تعتني بها. أبعد خروجها من الجسد؟ كلاَّ فإن ذلك الوقت وقت الندامة لا وقت المداواة. كما ان مداواة مرض الأجسام إنما تكون ما دامت الروح فيها لا بعد الموت. كذلك النفس إنما ينبغي سياستها ومداواة أمراضها ما دامت في هذا العالم. أما بعد مفارقتها له فلا حيلة تنتفع بها هناك. فسبيلنا أن نعتني دائماً بمداواة أمراض نفوسنا ونترك الإهتمام بزينة أجسادنا لنجد رحمة أمام ربنا الذي له المجد إلى الأبد.

القديس يوحنا الذهبي الفم